إعلامية المشاكلة في المعايير الخارجية لأداء النص في أصول الكافي (سجايا أهل البيت (عليهم السلام) أنموذجًا)

الباحث. عقيل عباس خليف

أ.د. جلال الدّين يوسف العيداني

جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

الملخص :

تُعدُّ إعلامية المشاكلة جزء من المعايير الخارجية لأداء النّصّ (علم اللغة النصي) غايتها إثارة الشكّ عند المتلقي بالتكرار الحاصل بالكلمة أو العبارة ؛ ولكن المعنى غير هذا، وإنّما بقصدية تامّة أرادها المبدع كي يجعلها مؤثرًا بديعيًا بيانيًّا في الوقت نفسه، وبهذا فقد حمل إشارات وإيحاءات ذات طابع مؤثّر وفاعل في النّصّ أو المتلقي، فقد حقّق هذا النمط الأسلوبي الانزياح بالخروج عن المألوف ، وهذا بدوره يصنع عنصر المفاجأة عند المتلقي جرّاء النظر إلى البنية العميقة لا إلى البنية السطحية ، إذن هو التركيز على المعنى ولفت انتباه المتلقي له بهذه الهيأة.

الكلمات المفتاحية: (إعلامية المشاكلة، المعايير الخارجية، أصول الكافي).

Informational problems in the external standards for text performance in Usul al-Kafi

The characteristics of the People of the House (peace be upon them) as an (example)

researcher. Aqeel Abbas Khalif

Mr. Dr. Jalaluddin Youssef Al-Eidani

Dhi Qar University / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language

ABSTRACT:

The informativeness of the problem is considered part of the external standards for the performance of the text (textual linguistics) whose purpose is to arouse doubt in the

recipient by the repetition occurring in the word or phrase. But the meaning is different from this, but rather with complete intentionality that the creator wanted in order to make it effective and graphically impressive at the same time. Thus, it carried signs and suggestions of an influential and effective nature in the text or the recipient. This stylistic pattern achieved a shift from the norm, and this in turn creates an element of surprise for the recipient. By looking at the deep structure and not the superficial structure, then it is to focus on the meaning and draw the recipient's attention to it in this form.

Keywords: (problematic media, external standards, principles of Al-Kafi).

مدخل :

المشاكلة لغةً :

الشّكل بالفتح : الشبه والمثل ، والجمع أشكال وشكول. والمشاكلة : الموافقة ، والتشاكل مثله[١]. فالمشاكلة من شاكل الشيء ، أي : ماثلهُ ووافقهُ وشابههُ ، وقيل : المشاكلة معنى : المثل والنظير[٢].

المشاكلة اصطلاحاً :

لقد ساهم المتقدمون بالوقوف على هذا المصطلح وتطويره ، وعدّوه لوناً من ألوان البديع. وأطلقوا عليه مصطلحات عديدة ، منها : المزاوجة ، والتصدير ، وردّ الأعجاز على الصدور ، والترديد ، والمقابلة وغيرها[٣].

فقد أشار الفراء إلى المشاكلة في معرض تحليلاته اللغوية للقرآن الكريم ، وعبّر عنها بأنّها ((لفظ على مثل ما سبق قبله))[٤]. وجعلها ابن قتيبة من باب "مخالفة ظاهرة اللفظ معناه"[٥].

وقد أطلق ابن المعتز مصطلحاً ((ردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها))[٦]. وأبدى الزجّاج التفاتته اللغوية للمشاكلة ، فجعلها من ازدواج الكلام ، إذ يقول ، في قوله تعالى : ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾[٧] ((فالثانية ليست سيئة في الحقيقة ، ولكنّها سميت سيئة لازدواج الكلام))[٨].

وجعل قدامة بن جعفر المشاكلة احدى الخصائص الأسلوبية التي ترفع من قيمة الشعر ، إذ يقول : ((والذي يسمّى به الشعر فائقاً ، ويكون إذا اجتمع فيه مستحسناً صحة المقابلة ، وحسن النظم ، وجزالة اللفظ ، واعتدال الوزن ، وإصابة التشبيه ، وجودة التفصيل ، وقلّة التكليف ، والمشاكلة في المطابقة))[٩]. وعدَّها الرمّاني من الجناس ؛ لأنّ التجانس عنده على وجهين : مزاوجة ، ومناسبة ، وما يُعدّ مشاكلةً عنده هو المزاوجة ، ويؤتى بها لحُسن البيان[١٠].

ويأتي أبو هلال العسكري فلا يضيف جديداً عمّا أسماه ابن المعتز بردِّ الأعجاز على الصدور ، ويكتفي بمزيد من الشواهد[١١]. كما أنّ المشاكلة لديه تندرج تحت مفهوم "المقابلة" ، وهو ما تبيّن خلال الأمثلة التي عرضها حينما عرف المقابلة بأنّها ((إيراد الكلام ، ثمّ مقابلته بمثله في المعنى أو اللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة))[١٢].

أمّا ابن رشيق القيرواني فقد أطلق على المشاكلة مصطلح (التصدير) ويعرّفه بردِّ أعجاز الكلام على صدورها ، فيدلّ بعضه على بعض ، ويكسب البيت الذي يكون فيه أُبَّهة ، ويكسوه رونقاً ، ويزيده مائيةً وطلاوةً[١٣]. وكذلك ذكره في آخر (باب التجنيس) وسمّاه (التزاوج)[١٤].

وجاء نجم الدين ابن الأثير فحاول جمع هذه المصطلحات في اتّجاهٍ واحدٍ ، وهو المشاكلة وممّا جاء في قوله ، بأنّ مادّة هذه المصطلحات هي واحدة ، ولكن فرّق بينها أهل البديع بفروق ، وقالوا : الترديد هو ما تردّد في البيت سواء كان أولاً أو آخراً ، والتصدير ما كان أحد اللفظين في صدر البيت والآخر في عجزه ، وهو أيضاً المسمى (ردّ الأعجاز إلى الصدور) ، أمّا التعطّف فهو أنْ تكون إحدى الكلمتين في المصراع الأول ، والأخرى في المصراع الثاني ، وكذلك المشاكلة وحاصل الأمر أنّ هذه الأنواع كلّها مادة واحدة ، وشواهدها متقاربة ، وهي باب واحد[١٥].

ويعبّر عن المشاكلة أيضاً بالموافقة ، وذلك ((أنَّ المتكلّم إذا أراد أنْ يذكر كلمة عدل عنها إلى لفظ يشاكلها أي يشبهها ويوافقها فيكون ذلك أبلغ في نفس السامع))[١٦].

وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض القدماء قصدوا بالمشاكلة التناسب في النظم ، والتلاؤم في الألفاظ مع السياق ، وقد أُطلق على هذا المعنى بـ (المشاكلة الفنية) ، وقد أشار ابن طباطبا إلى هذا المعنى ، فجعل المشاكلة عنصراً من عناصر الخلق الفني القائم على المراجعة والتدبير[١٧]. فقال احدهم : ((وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها ، فهي كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد

حُسناً في بعض المعارض دون بعض. فكم من معنىً حَسَنٍ قد شِينَ بمعرضه الذي أبرز فيه. وكم من معرضٍ حَسَنٍ قد أُبتُذِل على معنىً قبيح ألبسه ...))[١٨].

ولا يختلف المحدثون عن القدماء في منظورهم للمشاكلة كونها لوناً بديعياً ، وله الأثر في المتلقي ، إذ إنّ علماء اللغة واللسانيات درسوا مصطلح المشاكلة على مستويات متنوعة في السياق ، وهي فنٌّ أسلوبي يُلقي بظلاله على الدرس اللغوي في مستوياته : الدلالية ، والنحوية ، والصوتية ، ولا ينحصر أثره على المستوى البلاغي فحسب[١٩].

وبالتالي عدّوها مؤثراً بديعياً وبيانياً في الوقت نفسه ؛ لما تحمله من إشارات وإيحاءات ذات طابع فاعل في النصّ ، وهي نمط أسلوبي يقصد الانزياح والخروج عن المألوف ، وهذا من شأنه أن يعكس عنصر المفاجأة للمتلقي ، ومن ثَمّ يُضفي الأثر الدلالي للنصّ[٢٠].

والمشاكلة فنٌّ أسلوبي تتحاور فيه الأصوات والدلالات قبل أن تكون لوناً من ألوان البديع للتزيين والتحسين فقط. وهي أن يطلق اللفظ مشابهاً للفظٍ يقابله ، ولكن المعنى يكون مخالفاً له[٢١]. وتبرز أهمية المشاكلة في فكرة المخادعية التي يلجأ إليها المنشئ ، فيوهم المتلقي خلاف ما يتوقع من خلال توهم التكرار المحض تارةً وتوهّم التكرار الجزئي تارةً أخرى[٢٢]. وينتج عن هذا ((عنصر الدهشة الذي بدوره يؤدي إلى أعمال العقل والعاطفة معاً عند المتلقي، ممّا يجعل الشدّ الفكري والنفسي واقعين عنده

وهذا يخلق تركيزاً مضاعفاً في سبيل إدراك مغزى توظيف هذا الشكل البديعي ممّا يؤدي إلى معرفة وترسيخ المضمون الفكري للنصّ في ذهنه))[٢٣].

وعلى الرُّغم من الدور الكبير الذي تؤديه المشاكلة على المستوى السطحي ، نتيجة تردّد الدالّ بعينه ، إلاّ أنّها على المستوى العميق تؤدي دوراً أكثر فاعلية ؛ لأنّ الدلالة تتلاحم تلاحماً شديداً بزيادة المائية فيها ، وبتنمية المعنى ليدخُلَ ديباجةً جديدةً[٢٤]

والمشاكلة هي ((ذكْر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته))[٢٥]. ويكاد يكون هذا التعريف للمشاكلة قد اتّفق عليه معظم البلاغيين من القدماء والمحدثين. وقد نقله أكثر المؤلفين[٢٦].

وعلى أساس ما تقدم فإنّ المشاكلة يؤتى بها لغايات بلاغية ، من أهمها تثبيت المعنى في ذهن المتلقي ، عن طريق جمالها والذي يكمن في المباغتة التي يأتي بها المنشئ فيوهم المتلقي بخلاف ما يتوقع من تشابه في المعنى ، وهذا الخروج عن المعتاد الذي يكسر توقع المتلقي هو عنصر من عناصر رفع الكفاءة الإعلامية للنصّ.

وكان للنمط الكلاسيكي من المشاكلة الوارد في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) في أصول الكافي في ذكر سجاياهم له النصيب الأوفر والحظ الأكبر ، وهذا النمط يقوم على التوالد ، بمعنى ((أنّ الدالّ الأول يعمل تلقائياً على توليد الدالّ الثاني ، والولادة تقتضي المماثلة بين الوالد

والمولود))[٢٧]. ولذلك اقتصرت دراسة هذا البحث على هذا النمط باستقراء نماذج منها وتحليلها ، وقد وُجِد نوعان من هذا النمط من المشاكلة القائم على الموقع المكاني ، وهما :

أولاً : المشاكلة القائمة على المجاورة :

يقوم هذا النمط من المشاكلة على التقارب في الموقع المكاني بين الدالّين المتشاكلين ، إذ يُذكر الدالّ الثاني بلفظ الأول للمجاورة[٢٨]. وتكتسب الألفاظ المشاكلة من المجاورة تمازجاً في الدلالة يخرجها من النمط المألوف ، ويعدل بها عن دلالة المطابقة إلى الناحية الإبداعية ، ولا يتمثل هذا التمازج في تكرار العبارة ، بل إنّه يتحقّق ذهنياً من خلال تقدير المجاورة في الدلالة ، ومن ثَمّ أعطت هذه المماثلة للنصّ دلالات أخرى مضافة لدلالة المفردة الأصلية[٢٩].

ومن هذا الضرب ما ورد في كلامهم (عليهم السلام) برواية عن نصر الخثعمي ، قال سمعت ابا عبدالله (عليه السلام) يقول : ((مَنْ عَرفَ أنّا لا نقولُ إلاّ حَقّاً فليكْتَفِ بِما يعْلمُ مِنّا ، فَإنْ سَمِعَ مِنّا خِلافَ ما يعْلَمُ ، فَلْيعلَم أنّ ذلك دِفاعٌ مِنّا عَنْه))[٣٠].

تضمّن هذا النصّ تشاكل بين الألفاظ ، والذي تجسّد بين الدالّين (يعلم . ليعلم) ، فكان مدلول اللفظة الأولى (يعلم) يشير إلى مذهب الإمامية وأصوله وفروعه ، ومدلول اللفظة الثانية (فليعلم) يشير إلى الفهم والمعرفة ((يعني أنّ كل مَن عرف أنّا أهل الصفوة والعصمة والرحمة ، وأنّا لا نقول إلاّ حقاً ثابتاً فليكتف بما يعلم ويتيقّن أنّه من مذهبنا وطريقتنا في الأصول والفروع وليعتقد أنّه حقّ لاريبَ فيه وإنْ لم يعلم مأخذه ومسنده ... فإنْ سَمِع مِنّا خلاف ما يعلم من مذهبنا فليعلم أنّ مقصودنا من ذلك القول رفع ضرر أهل البدعة والطغيان عنه وأنّه صدر من باب التقية لا من باب الجهل والنسيان))[٣١].

فقد جاء المبدع . الإمام (عليه السلام) باللفظ الأول مكرّرا بدلالة إيحائية مغايرة للمعنى الوضعي الحقيقي ؛ لتوظيف عنصر التخييل والمفاجأة ، ممّا يعكس تلك الإثارة على نفس المتلقي ، فتداعب عملية استكشاف المعنى المُشاكِل مخيلته . أي المتلقي . فتُحدث الإثارة والانفعال الوجداني لديه ، حتى تستقرَّ صورة المشاكلة في ذهنه ، فيلمح ما يُراد وراءها من معانٍ مستجلبةٍ بأسلوب مدهشٍ يبعث على التفكّر والتأمل ، فصورة اللفظ الثاني تستحضر تلك العلاقة المجازية للمعنى حتى يأتي ممتزجاً بتلوينٍ لفظيٍّ دلاليٍّ[٣٢]. وهذا التكرير الذي تقوم عليه المشاكلة فيه من التخييل الحسن الذي لا يخلو عن طرافة تعود على المعنى[٣٣].

وبالتالي يتمتع النصّ بإعلامية عالية من خلال تقنية وإبداع المنتج في رصف اللفظين وتشاكلهما في سياقٍ واحدٍ على نحو يلفت الانتباه في مستويات القول. ويدلُّنا النصّ على هدفٍ جوهريٍّ ألا وهو الارشاد والتوجيه. فالإمام (عليه السلام) يرشد الآخرين ويوجههم إلى طريق الصواب ، والنصح والارشاد من خلال سجاياهم (عليهم السلام) .

ومن أمثلة مشاكلة المجاورة أيضاً ما رُوي عن الحسين بن أبي العلاء ، قال : سَمِعتُ أبا عبدالله (عليه السلام) يقول : ((إنَّ عندي الجَفْرَ الأبيضَ ، قال : قلتُ : فأيّ شيءٍ فيهِ ؟ قال : زبورُ داوُد ، وتوْراةُ موسى ، وإنْجيلُ عِيسى ، وصُحُفُ إبراهيمَ (عليه السلام)، والحلالُ والحرامُ ، ومُصْحفُ فاطِمةَ ، ما أزْعُمُ أن فيهِ قرآناً ، وفيهِ ما يحتاجُ الناسُ إليْنا ولا نحتاجُ إلى أحَدٍ حتّى فيه الجَلْدَةُ ، ونِصفُ الجَلْدَةِ ، ورُبُعُ الجَلْدَةِ وأرْشُ الخَدْشِ. وعندي الجَفْرَ الأحمَرَ ، قالَ : قلتُ وأيُّ شيءٍ في الجَفرِ الأحمَرِ ؟ قال : السلاحُ ، وذلك إنّما يُفتَح للدَّمِ يفتحُهُ صاحبُ السيفِ للقتْلِ ، فقال له عبدُاللهِ بن أبي يعفورٍ : أصْلحَك اللهُ أيَعْرف هذا بنو الحَسَن ؟ فقال : إي واللهِ كما يعْرِفون اللَّيلَ أنّهُ ليلٌ والنهار أنّه نهارٌ ، ولكنَّهم يَحْمِلُهم الحَسَدُ وطلبُ الدّنيا على الجحودِ والإنكار ، ولو طلَبوا الحقَّ بالحقِّ لكان خيراً لهم))[٣٤].

تحقّقت المشاكلة بين الدالّين المتجاورين (الحق . بالحق) ، فالبنية الظاهرية السطحية للفظتين تشير إلى التماثل ، إلاّ أنّ الدلالة والمستوى العميق للدالّين يحيل إلى التخالف بينهما، إذ إنّ اللفظة الأولى (الحق) تعني الآخرة ، واللفظة الثانية (بالحق) تعني (معرفة الإمام (عليه السلام) ، وهذا ما أوضحه المازندراني ، إذ قال : ((هم طلبوا الباطل اعني الدنيا بالباطل الذي هو الحسد وإنكار الإمام وأهل الحقّ فيعود إليهم النكال في الدنيا والوبال في الاخرة ، ولو طلبوا الحقَّ أعني الآخرة وما يوجب رفع الدرجة فيها بالحق الذي هو محبّة الإمام والإذعان له ومتابعته لكان خيراً لهم في الدنيا والاخرة))[٣٥].

وبهذا خرج أسلوب المشاكلة بالألفاظ عن المألوف ، ممّا أدى هذا الخروج إلى توليد جديد للمعنى ، إذ إنَّ ((التعامل مع بنية المشاكلة يعتمد على أنّ حركة اللسان تكون فيها أسرع من حركة الذهن

على عكس المألوف في إنتاج الكلام عموماً ، فالعدول هنا خروج على عدة مستويات ينتهي إلى أنْ تأتي الدلالة من غير مصدرها اللغوي ، دون أن يكون في ذلك تمزيق للعلاقة بين الشكل والمضمون))[٣٦]. وعلى هذا فإنّ تشاكل الألفاظ وما يتّجه خلالها من إمكانات تسعف على تجاوز ما هو مألوف في المجال الدلالي ، من أهم الوسائل المثيرة التي تنطوي على منبهات أسلوبية تمكّن المبدع من ترك بصماته على النصّ[٣٧]. من أجل ((حمل القارئ على الانتباه إليها بحيث إنْ غفل عنها تشوّه النصّ ، وإذا حلَّلها وجد لها دلالاتٍ تمييزيّةٍ خاصّة ، ممّا يسمح بتقرير أنّ الكلام يُعبِّر والأسلوب يُبّرر))[٣٨].

ويُلحظ أنّ النصّ ينطوي على بعد معرفي يريد المبدع . الإمام (عليه السلام) . إنجازه بوساطة الإخبار المتضمّن بيان المبدع بما جهلوه أو أنكروه من شأن الإمامة[٣٩]. وهذا يعني أنّ الإمام (عليه السلام) مبيّن للحقائق ولمن يسأله ، فالبيان والتبيين للناس في كل أمورهم سجية من سجايا أهل البيت (عليه السلام) وطبع تطبّعت به نفوسهم.

ومنه أيضا (مشاكلة للمجاورة) ما رُوي عن أبي بصير ، قال : سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول : ((إنّ الحُرَّ حُرٌّ على جميعِ أحوالهِ ، إنْ نابَتْهُ نائبةٌ صبَرَ لها وإنْ تداكَّت عليه المصائبُ لم تكسِرْهُ ، وإنْ أُسِرَ وقُهِرَ واستُبدِلَ باليُسرِ عُسراً ، كما كانَ يوسُفُ الصّدّيقُ صلواتُ اللهِ عليه لم يضْرُرْ حرَّيَّتَهُ أنْ استُعْبِدَ وقُهِرَ وأُسِرَ ، ولم تَضْرُرْه ظُلْمَةُ الجُبِّ ووحْشَتُهُ ، وما نالَهُ أنْ مَنَّ اللهُ عليه فجعَلَ

الجبَّارَ العاتيَ له عبْداً بعْدَ إذ كان لهُ مالِكاً ، فأرسلَهُ ورحِمَ بهِ أُمَّةً ، وكذلك الصَّبرُ يُعَقّبُ خَيراً ، فاصْبِروا ووطّنوا أنفسَكم على الصّبْر تُوجَروا))[٤٠].

ففي قوله (الحرُّ حُرٌّ) خروج عن المألوف وإنحراف وإنزياح عن المعنى الأصلي ، والذي يعني أنّ الحُرّ نقيض العبد ، إلاّ انّ المعنى المراد من اللفظة الأولى (الحر) هو الصابر الذي يتحمل في نيران الصبر على فقدان المألوف المرغوب ويصبر على أذى القوم وعدم وجدان المطلوب ، فنجى عن رقِّ الشهوات النفسانية واللذات الجسمانية ، ومدلول اللفظة الأخرى (حرّ) هو الفائز برحمة الله ولطفه الذي توجّهت نفسه القدسية إلى مشاهدة الأنوار الإلهية والأسرار الربوبية ، وهذا كله بفضل الصبر ، فإنّه مَن صَبَرَ صَبْر الأحرار نال من فيض الجبار ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[٤١].

ومن هنا قامت كلمة (حرّ) مع جارتها المشاكلة بإيجاد معنى طريف متجاوب مع المعنى الأول الذي فجّرته الكلمة نفسها[٤٢]. وبهذا أعطت صورة حسّية لمتلقي النصّ ؛ لأنّ المشاكلة تعتمد على حركة الذهن في الربط بين الدوالّ في السطح ، والمدلولات في العمق ؛ لأنّها لا تتحقق إلاّ بالمصاحبة التي تنتج من التماس الواقع بين الدوالّ ، ويؤدي الخيال مهمته في تحقيق المصاحبة التماثلية والضدية على صعيدٍ واحدٍ[٤٣]. فهو بهذا الأسلوب والقصد في الإتيان بالمشاكلة المجاورة حتى يُحقّق القفزة الذهنية للمتلقي لجذبه نحوه ويشدّه إليه ، وهذا الخروج والانزياح قد حقّق الإعلامية المقصودة في النصّ لكلام الإمام المعصوم.

ولا يُخفى أنّ النصّ يفصح عن سجيّة في نفس المبدع . الإمام (عليه السلام) . وهي سجيّة الصبر التي خصّ الله بها من يشاء.

ثانياً : المشاكلة القائمة على المباعدة :

يقوم هذا النمط من المشاكلة على التباعد المكاني بين الدالّين المتشاكلين في النصّ ، وعلى الرّغم من التباعد بين الدالّين ، إلاّ أنّ الترابط قائم بينهما على المستوى الشكلي ، أمّا على المستوى الباطني فإنّ التماثل يَأوْل إلى التخالف(٤٤). ومن أمثلة هذا النمط من المشاكلة ، ما رُوي عن محمد بن مروان عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : سمِعتُه يقول : ((إنّ اللهَ خلقَنا من نورِ عظمَتهِ ، ثُمَّ صوَّرَ خَلْقَنا من طينةٍ مخزونةٍ مَكنونةٍ من تحْتِ العَرْشِ ، فأسكَنَ ذلك النّورَ يه ، فكُنّا نحن خَلقاً وبَشَراً نُورانيّين ، لم يجْعَلْ لأحَدٍ في مِثل الذي خَلَقَنا مِنه نصيباً ، وخَلقَ أرواحَ شيعَتنا من طينَتِنا وأبدانَهُم من طينةٍ مَخزونةٍ مَكنونةٍ أسْفَلَ من ذلك الطّينةِ ، ولَم يجعَل اللهُ لأحَدٍ في مِثل الذي خلقَهُم مِنهُ نصيباً إلاّ للأنبياءِ ولذلك صِرْنا نحنُ وهُم : الناسَ ، وصارَ سائِرُ الناسِ هَمَجٌ ، للنّار وإلى النّارِ))(٤٥).

والمشاكلة هنا وقعت بلفظة (الناس) التي تكرّرت مرّتين ، إذ جاءت لفظة (الناس) الثانية تحيل إلى مخالفة لفظة (الناس) الأولى ، وهذا يتمّ بمجرد الكشف عن مدلول اللفظتين ، فإنّ دلالة (الناس) الأولى تختلف عن دلالة لفظة (الناس) الثانية ، وذلك بأنّ ((اللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الإنسانية الموصوفون بصفاتها فإنّ اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقاً يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودُة منه من أفراد ذلك المسمّى ولذلك يُسلب عن غيره من

أفراده))[٤٦]. وأمّا لفظة (الناس) الثانية ، فالمراد بها ((غير مَن ذُكر وهو من خالف الإمامية وعُرِي عن صفة الإنسانية))[٤٧].

وهذا التشاكل بالالفاظ يتيح للمتلقي الوقوف عند لفظة (الناس) بتمعُّنٍ أكثر ، وهذا ما فعلته له الدهشة التي صنعها المبدع من خلال المشاكلة المتباعدة. وهو نمطٌ إبداعيّ يقوم على تجاوز النمط التعبيري المتعارف عليه . أصل الكلام . والعدول عنه إلى التعبير الفني[٤٨].

يُلحظ أنّ المبدع . الإمام (عليه السلام) . شاكل خطابه بين اللفظتين نفسهما والمقام نفسه مع الفارق في اختلاف دلالة اللفظتين وتباعد مكانهما في سياق الكلام ، ويكشف النصّ عن سجيّة من سجايا أهل البيت (عليهم السلام) التي خصّهم الله تعالى بها دون سائر الناس ، أنّهم خلقٌ نورانيون ، فهم الناس الكاملون الموصوفون بصفات الإنسانية.

ومن أمثلة ما ورد في المشاكلة المتباعدة : أيضاً ما رُوي عن عبدالله بن أبي يعفورٍ ، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : ((اتّقوا على دينِكُم فاحْجُبُوه بالتَّقيّةِ ، فإنّهُ لا إيمانَ لمَن لا تقيَّةَ لهُ ، إنّما أنتُم في الناسِ كالنّحْلِ في الطّيرِ ، لو أنَّ الطَّيْرَ تَعْلَمُ ما في أجوافِ النّحْلِ ما بَقيَ منها شيءٌ إلاّ أكلَتْهُ ، وَلو أنّ الناسَ عَلِموا ما في أجوافِكُم أنّكم تُحبّونّا أهل البيتِ لأكلوكم بألسنَتِهم ، ولَنحلوكُم في السّرِّ والعلانيَةِ ، رَحِمَ اللهُ عَبْداً مِنكُم كانَ على وَلايتِنا))[٤٩].

المشاكلة هنا وقعت بين اللفظتين (أكلته ، أكلوكم) ، فدلالة اللفظة الأولى (أكلته) تشير إلى المدلول المعجمي للفظة ، وهو الأكل ، ودلالة اللفظة الثانية (أكلوكم) تشير إلى الإيذاء ، أي :

لآذوكم[٥٠]. وهي بهذا خرجت عن المألوف. ويُلحظ أنّ للسياق دورٌ فعّال في تحديد مسار الألفاظ المتشاكلة تباعدياً ، إذ إنّ المشاكلة تعتمد أساساً على التركيب الذي يتيح للكلمة نفسها في سياقها الثاني أن تدفع بكل طاقاتها[٥١].

ومن هنا فإنّ المنتج من خلال المشاكلة بين الالفاظ كَسر توقعات المتلقي ؛ لأنّ الألفاظ المتباعدة المتشاكلة تقوم على مفاجأته بأحداث توافقٍ شكليٍّ ومضمونيّ ، ومن مثل هذه المفاجآت يحدث الأثر الأسلوبي على المستوى الدلالي[٥٢]. وإنّ فكرة الإثارة التي بموجبها يكون الخطاب عامل استفزاز يحرّك نوازع وردود فعل في المتلقي ما كان لها أنْ تُستنفَر بمجرد مضمون الرسالة الدلالية ، لولا اصطباغ الخطاب بألوان ريشة الأسلوب التي أبداها المنشئ[٥٣]. ولهذا يمكن أن نَعدَّ المشاكلة المتباعدة وسيلة أسلوبية تأثيرية ؛ لأنّها تجعل المعنى لدى المتلقي في صورتين مختلفتين إحداهما مبهمة والأخرى واضحة ، فهي تمكِّن المعنى في النفس من خلال هاتين الصورتين ؛ وذلك لأنّ المعنى إذا أُلقي مبهماً تاقت النفس إلى معرفته موضحاً ، فتتنبّه إلى ما يأتي بعد ذلك ، فإذا جاءها كما تشتهيه تمكِّن لديها فضْلَ تمكّنٍ ، وكان شعورها به أتمّ ، ومن ثَمّ تكمل لذة العلم بهذا المعنى ؛ لأنّ الشيء إذا عُلم جزء منه دون آخر تشوّقت النفس إلى معرفة المجهول منه ، فيحصل لها سبب المعلوم لذة[٥٤].

فالإمام (عليه السلام) ينصح أصحابه بالحفاظ على دينهم من خلال اللجوء إلى التقيّة ، فقرّب بالتشبيه بين الشهد الذي يكون في أجواف النحل وحب أهل البيت (عليهم السلام) الذي يكون في قلوب المؤمنين، وحبّهم رأس الإيمان. وبهذا أراد الإمام (عليه السلام) الحثّ على حفظ الإيمان عند

أصحابه بالتقيّة ، وبهذا نجد الإمام (عليه السلام) نصح وبالغ بالنصيحة ، والنصح سجيّة من سجايا أهل البيت (عليهم السلام) .

ومن أمثلة ذلك ايضاً ، ما روي عن عبدالله بن سنان ، قال : قال أبو عبدالله (عليه السلام) : ((أوحَى اللهُ عزَّوجلَّ إلى بَعضِ أنبيائهِ : يا ابْنَ آدمَ اذكُرْني في غَضَبِكَ أذكُرْكَ في غَضَبي لا أمْحَقُكَ فيمَنْ أمْحَقُ وارْضَ بِي مُنتَصِراً فإنّ انتِصاري لَك خير مِن انتِصارِكَ لِنفْسِكَ))[٥٥].

شاكل المبدع . الإمام (عليه السلام) . خطابه بين القولين (اذكرني في غضبك) و(أذكرك في غضبي) مستعملاً الألفاظ نفسها ، إلاّ أنّ دلالة الألفاظ قد تختلف بين القولين. وهنا حدّد لنا السياق نوعين من الغضب ، الأول : غضب الخلق وهو ثوران النفس وحركاتها بسبب تصوّر المؤذي والضارّ إلى الانتقام والمدافعة ، والآخر : غضب الخالق ، وهو عقابه التابع لعلمه بمخالفة أمره ونواهيه وغيرهما[٥٦]. وكذا الأمر مختلف بالنسبة لذكر الإنسان (اذكرني) عن ذكره تعالى (أذكرك) ، فإنّ الإنسان عند غضبه على الغير يذكر غضب الله تعالى عليه ، فإنّ هذا يبعثه على الرّضى والعفو طلباً لرضاه تعالى وعفوه لنفسه. وأمّا ذكر الله في غضبه (أذكرك في غضبي) هو عدم المعاقبة والعذاب بزلاّته ومعاصيه جزاءً بما صنع في أخيه من العفو عنه[٥٧].

فالمتلقي في بادئ الأمر يتوهم أنّ المعنى الثاني هو عين الأول ، فإذا أدام النظر ، وحقّق الفكر ، علم أنّه غيره ، ومن ثَمَّ يكون ذلك سبباً لاستقراره في الذهن ، ورسوخه في الفهم ، فيكون أدعى للثبوت وعدم التفلُّت[٥٨].

فالنصّ يفصح عن سجيّة في نفس المبدع . الإمام (عليه السلام) . وهي سجيّة الحلم والتصرّف بحكمة عند الغضب.

ومن هنا يمكن أن نَعدّ السياق العنصر الأساس في كشف دلالة الألفاظ المتشاكلة ، إذ تبرز بلاغة المشاكلة فيه . السياق . من خلال جمال العبارة ، وسموِّ المعنى بما يضفي عنصر المفاجأة من أثر دلالي في اللفظ المشاكل ينماز عن الأول بمعناه الذي يُدرك بالتأمل والتفكّر ورسوخ الفهم حتى يستقرَّ في الذهن وترتاح إليه النفس ، وتستشعر لطائف المشاكلة معه بمزيّة وبدائع يكشف عنها السياق الذي يرتقي مع النصّ إلى فاعلية مؤثرة[٥٩]. وهذه الفاعلية هي الإعلامية.

إذن فالمشاكلة بين الألفاظ تقوم بإجراء منبّهات ذات قيمة فنية في النصّ ، والتي تخلق شدّاً عند المتلقي ، فالكلمات المتشاكلة لا تعبِّر عن دلالاتها المألوفة ، فإنّ من شأن المشاكلة التحوّل على الصعيد الأسلوبي إلى منبهات تثير المتلقي وتخلق لديه قدرة على تمثل القيم الفنية التي ينطوي عليها الأثر الأدبي ، فتبدو لنا مؤشرات الأسلوب مركّزة على النمط الإبداعي ، الذي يبين دلالة اللفظ على شيء أخرجه المتكلم عن معناه بغية حمل السامع على التأثر به ممّا يشكّل على مستوى الأسلوب انحرافاً وانزياحاً عن الوضع الأصلي[٦٠].

والغاية الرئيسة من المشاكلة بنوعيها هي التأثير على المتلقي ، وذلك بتوفير طاقة من الدلالة التي تعمل على تركيز انتباهه بألفاظ غايتها إحداث صدمة ذهنية لمتلقيها تهويلاً أو ترغيباً تجعله كثير التأمل والتفكير ، ومن شأن هذه المنبهات أنْ ترفع الكفاءة الإعلامية للنصّ.

الخاتمة:

وقد انتهى البحث إلى النتائج الآتية :

– إنّ خطاب أهل البيت (عليهم السلام) خطابٌ هادفٌ مبنيٌّ بناءً استدلالياً يُلجَأ فيه إلى الحجّة والبرهان والعقل ، وهو موجَّه توجيهاً دقيقاً لأهدافٍ يقصدونها ، غايتهم الأولى بناء الإنسان، ثم بناء المجتمع.

– ظهرت خطابات أهل البيت (عليهم السلام) التي تخصُّ سجاياهم بإعلامية ذات الكفاءة العالية، وهذا الارتفاع لدرجة الإعلامية لا يكون عن طريق المرامي البعيدة المبهمة والتي من شأنها أن تفشل عملية التواصل ، بل بألفاظٍ وأساليبٍ تثير المتلقي بكسر أُفق توقعه ، بالخروج عن المألوف.

– إنَّ إثارة المتلقي بالألفاظ المتشاكلة ، بتوفير طاقة من الدلالة التي تعمل على تركيز انتباهه بألفاظ غايتها إحداث صدمة ذهنية لمتلقيها ، ممّا تجعل المتلقي كثير التأمّل والتفكير ، ومن شأن هذه المنبهات رفع الكفاءة الإعلامية للنّص.

الهوامش:

(١) ينظر : لسان العرب مادة (شَكَلَ) : ٣٥٦/١١ . ٣٥٧.

(٢) ينظر : المعجم المفصل في علوم البلاغة : ٦٤٩.

(٣) ينظر : البديع تأصيل وتجديد : ٩٣.

(٤) ينظر : معاني القرآن ، الفراء : ١١٦/١.

(٥) ينظر : تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة : ١٧١.

(٦) البديع ، عبدالله بن المعتز : ٤٧.

(٧) الشورى : ٤٠.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج : ٩٠/١.

(٩) علم البديع ، عبد العزيز عتيق : ٨٤.

(١٠) ينظر : النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) ، الرماني : ٩٩.

(١١) ينظر : البديع تأصيل وتجديد : ٩٥.

(١٢) الصناعتين : ٣٤٦.

(١٣) ينظر : العمدة في صناعة الشعر ونقده : ٥٦٠/١.

(١٤) ينظر : شرح الكافية البديعية : ١٨٢.

(١٥) ينظر : البديع تأصيل وتجديد : ١٠٠.

(١٦) شرح الكافية البديعية : ١٨١.

(١٧) ينظر : البديع تأصيل وتجديد : ٩٣.

(١٨) عيار الشعر : ١١.

(١٩) ينظر : المشاكلة قراءة في المفهوم البلاغي العربي ، د. باسم محمد إبراهيم ، رائد حمد خلف ، مجلة ديالى ، العدد الثامن والستون ، ٢٠١٥م : ٣٠ . ٣١.

(٢٠) ينظر : المصدر نفسه : ٣٣ . ٣٤.

(٢١) ينظر : المشاكلة الصوتية وبنية النص ، عبد الوهاب خلف امبية ، مجلة العلوم الانسانية ، جامعة سبها ، العدد الأول ، المجلد الخامس عشر ، ٢٠١٦م : ٧١.

(٢٢) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ١٠٦.

(٢٣) الأشكال البديعية في خطاب الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) في كتاب الأصول من الكافي ، أطروحة ، حيدر برزان سكران العكيلي : ١٦٦.

(٢٤) ينظر : البلاغة العربية قراءة أخرى : ٣٦٩.

(٢٥) مفتاح العلوم : ٤٢٤ ، الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٦٣/٢ ، شرح الكافية البديعية : ١٨١ ، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها : ٤٣٨/٢ ، وينظر : جواهر البلاغة : ٣٧١.

(٢٦) ينظر : التكرير بين المثير والتأثير : ٢٤٤.

(٢٧) البلاغة العربية قراءة أخرى : ٣٧٦.

(٢٨) ينظر : بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي) : ٣١٩.

(٢٩) ينظر : بلاغة المشاكلة ودلالاتها في القرآن الكريم ، (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، جامعة أبي بكر ، زهية سرياري ، بلقايد ، ٢٠٠٧ . ٢٠٠٨م : ٧٧.

(٣٠) أصول الكافي : ٥١/١.

(٣١) شرح أصول الكافي ، المازندراني : ٣٣٠/٢.

(٣٢) ينظر : المشاكلة قراءة في المفهوم البلاغي العربي ، د. باسم محمد إبراهيم ، رائد حمد خلف ، مجلة ديالى ، العدد الثامن والستون ، ٢٠١٥م : ٣٢.

(٣٣) ينظر : التكرير بين المثير والتأثير ٢٤٤ . ٢٤٥.

(٣٤) أصول الكافي : ١٧٣/١.

(٣٥) شرح أصول الكافي ، المازندراني : ٣٤١/٥.

(٣٦) البلاغة العربية قراءة أخرى : ٣٧.

(٣٧) ينظر : بلاغة المشاكلة ودلالاتها في القرآن الكريم ، زهية سرياري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، ٢٠٠٧ . ٢٠٠٨م : ٤٤.

(٣٨) الأسلوبية والأسلوب : ٨٣.

(٣٩) ينظر : الأشكال البديعية في خطاب الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) في كتاب (الأصول من الكافي) للكليني، حيدر برزان العكيلي ، أطروحة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠١١م : ١٧٥.

(٤٠) أصول الكافي : ٤٨٥/٢.

(٤٠) ينظر : شرح أصول الكافي ، المازندراني : ٢٨١/٨ . ٢٨٢.

(٤٢) ينظر : البديع تأصيل تجديد : ١٠٢.

(٤٣) ينظر : البلاغة العربية قراءة أخرى : ٣٧٦.

(٤٤) ينظر : بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي) : ٣١٩ . ٣٢٠.

(٤٥) أصول الكافي : ٢٩٣/١.

(٤٦) شرح أصول الكافي ، المازندراني : ٣٩٦/٦.

(٤٧) المصدر نفسه : ٣٩٦/٦.

(٤٨) ينظر : بلاغة المشاكلة ودلالتها في القرآن الكريم ، زهية سرياري : ٤٢.

(٤٩) أصول الكافي : ٥٧٣/٢.

(٥٠) ينظر : شرح أصول الكافي ، المازندراني : ١٢١/٩.

(٥١) ينظر : البديع تأصيل وتجديد : ١٠٣.

(٥٢) ينظر : البلاغة العربية قراءة أخرى : ٣٦٤.

(٥٣) ينظر : الأسلوبية والأسلوب : ٨٢.

(٥٤) ينظر : الكافي في علوم البلاغة العربية : ٣٣٢.

(٥٥) أصول الكافي : ٦٢٣/٢.

(٥٦) ينظر : شرح أصول الكافي ، المازندراني : ٣١٣/٩.

(٥٧) ينظر : المصدر نفسه : ٣١٣/٩.

(٥٨) ينظر : البديع في ضوء أساليب القرآن : ٨١.

(٥٩) ينظر : المشاكلة قراءة في المفهوم البلاغي العربي ، د. باسم محمد إبراهيم ، رائد حمد خلف ، مجلة ديالى ، العدد الثامن والستون ، ٢٠١٥م : ٢٧٠.

(٦٠) ينظر : بلاغة المشاكلة ودلالاتها في القرآن الكريم ، زهية سرياري : ٤٣.

المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم.**

أولاً : الكتب :

- الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ط٣ ، (د.ت).
- أصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٣٨هـ . ٢٠١٧م.
- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م.

- البديع ، عبدالله بن المعتز ، تعليق : اغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار الحكمة ، دمشق، (د.ط) ، (د.ت).
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، جميل عبد المجيد ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، (د.ط) ، (د.ت).
- البديع تأصيل وتجديد ، منير سلطان ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، (د.ط) ، (د.ت).
- البديع في ضوء اساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ط) ، ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م.
- البلاغة العربية اسسها ، وعلومها ، وفنونها ، عبد الرحمن حسن حَبَنّكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م.
- البلاغة العربية قراءة أخرى ، محمد عبد المطلب ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٧م.
- بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي) ، محمد عبد المطلب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٥م.
- تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تعليق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (د.ت).
- التكرير بين المثير والتاثير ، عز الدين علي السيد ، عالم الكتاب ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٦م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٩م.
- شرح أصول الكافي ، محمد صالح المازندراني ، تعليق : أبو الحسن الشعراني ، تحقيق : علي عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م.

- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع ، صفي الدين الحلي عبد العزيز بن سرايا بن علي السنبسي الحلي ، تحقيق : نسيب نشاوي ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م.
- الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط٢ ، (د.ت).
- علم البديع (في البلاغة العربية) ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، (د.ط) ، (د.ت).
- العُمدة في صناعة الشعر ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق : النبوي عبد الواحد شعلان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م.
- عيار الشعر ، أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر المانع ، دار العلوم ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، (د.ط) ، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م.
- الكافي في علوم البلاغة العربية (المعاني . البيان . البديع) ، عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي ، منشورات الجامعة المفتوحة ، (د.ط) ، ١٩٩٣م.
- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، أدب الحوزة ، قم ، إيران ، (د.ط) ، ١٤٠٥هـ.
- معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م.
- معاني القرآني وإعرابه ، أبو إسحاق إبراهيم بن السَّريّ الزجّاج ، شرح وتحقيق : عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م.
- المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) ، إنعام فوّال عكاوي ، مراجعة : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ٢٠٠٦م.

- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، ضبط وتعليق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م.
- النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) ، أبو الحسن بن عيسى الرماني ، تحقيق ، محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، (د.ت).

ثانياً : الرسائل والأطاريح :

- الأشكال البديعية في خطاب الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) في كتاب (الأصول من الكافي) للكليني، حيدر برزان العكيلي ، أطروحة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة، ٢٠١١م.
- بلاغة المشاكلة ودلالاتها في القرآن الكريم ، زهية سرياري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، ٢٠٠٧ . ٢٠٠٨م.

ثالثاً : البحوث العلمية :

- المشاكلة الصوتية وبنية النص ، عبد الوهاب خلف امبية ، مجلة العلوم الانسانية ، جامعة سبها ، العدد الأول ، المجلد الخامس عشر ، ٢٠١٦م.
- المشاكلة قراءة في المفهوم البلاغي العربي ، د. باسم محمد إبراهيم ، رائد حمد خلف، مجلة ديالى ، العدد الثامن والستون ، ٢٠١٥م.